وافضلها ومنها مخالفته لجميع انهار الارض في خصال هي منافع فيه ومضار في غيره ومنها انه يزيد عند نقص ساير المياه وينقص عند زيادتها وذلك اوان الحاجة اليه ومنها انه ياتي ارض مصر في اوان اشتداد القيظ والحر ويبس الهوا وجفاف الارض فيبل الارض ويرطب الهوا ويعدل الفصل فيعيد بلا زايدا ومنها ان كل نهر من الانهار العظام وان كانت فيه منافع فلا بد ان يتبعها مضار في اوان طغيانه بافساد ما يليه ونقص لما يجاوره والنيل موزون على ديار مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا يخرج عن حده ذلك بتقدير العزيز العليم ومنها ان المعهود في ساير الانهار ان ياتي من جهة المشرق الي المغرب وهو ياتي من جهة المغرب الي الشمال فيكون فعل الشمس فيه دايما واثرها في اصلاحه متصلا ملازما وفي ذلك يقول الشاعر

مصر ومصر ماوها عجيب ٭ ونهرها يجري به الجنوب ٭

ومنها ان كل الانهار يوقف على منبعه واصله والنيل لا يوقف له على اصل منبع وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الصين والروم غيره وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص على الترتيب والتدريج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجبي من خراج غلة زرعه ما يجبي من خراج غلة زرع النيل وقال صاحب مباهج الفكر النيل اخف المياه واحلاها وارواها وامراها واعمها نفعا واكثرها خراجا يحكى انه جبي في ايام كيفاوس احد ملوك القبط الاول مائة الف الف صح وثلاثون الف دينار وجباه عزيز مصر مائة الف الف صح دينار وجباه عمرو ابن العاصي اثني عشر الف الف صح دينار وجباه عبد الله بن ابي سرح اربعة عشر الف الف صح دينار ثم نزل الي ان جبي جوهر القايد ثلاثة الاف الف ومايتي الف دينار وسبب نقصه وقصوره ان الملوك نقوصهم مما كان ينفق في الرجال الموكلين لحفر خلجه واصلاح جسوره وردم قناطره وسد ترعه وقطع القصب وازالة الحلفا وكانوا مائة الف وعشرين الف رجل مرتبين على كور مصر سبعين الفا للصعيد وخمسين الفا لاسفل الارض ويحكى انها مسحت ايام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الما مائة الف الف صح فدان والفدان اربعماية قصبة والقصبة سبعة اذرع واما احمد بن المدبر فانه اعتبر ما يصلح للزرع بمصر في وقت ولايته فوجده اربعة وعشرون الف الف صح فدانا والباقي قد استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث الواحد يحرث خمسين فدانا فكانت محتاجة الي اربعماية الف واربعين الف حراثا وقال

صاحب

صاحب مراة الزمان ذكر احمد بن بختيار ان في النيل عجايب منها التمساح ولا يوجد الا فيه ويسمى في مصر التمساح وفي بلاد النوبه الورل وورا النوبه الشوشمار قال والتمساح لا دبر له وما ياكله يتكون في بطنه دودا فاذا اذاه خرج الي البريه فينقض عليه طاير فياكل ما بين اسنانه وما يظهر من الدود وربما يطبق عليه التمساح فيبلعه وذكر ابن حوقل ان بنيل مصر اماكن لا يضر التمساح فيها كعدوة بوصير والفسطاط قال وفي النيل السقنقور ويكون عند اسوان وفي حدودها وقيل انه من نسل التمساح اذا وضعه خارج الما فما قصد الما صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا وله قضيبان كالضب وفيه السمك الرعاد اذا وقع في شبكة الصياد لا يزال ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها او يموت وهي نحو الذراع وفيه سمكة على صورة الفرس والمكان الذي يكون فيه لا يقربه التمساح وفيه شيخ البحر سمكة على صورة ادمي وله لحية طويلة ويكون بناحية دمياط وهو مشوم فاذا راي في مكان دل على القحط والموت والفتن ويقال ان دمياط ما تسلب حتى يظهر عندها ذكر ما قيل في النيل من الاشعار قال التيفاشي قد ذكرت العرب النيل في اشعارها وضربت به الامثال فقال قيس بن معدي كرب فيما اورده الجاحظ في كتاب الامصار

ما النيل اصبح زاخرا بمدوده ٭ وجرت له ريح الصبا فجرى بها ٭

وقال بعضهم

واها لهذا النيل اي عجيبة ٭ بكر بمثل حديثها لا يسمع ٭
يلقى الثرى في العام وهو مسلم ٭ حتى اذا ما مر عاد يودع ٭
يتنقل مثل الهلال فدهره ٭ ابدا يزيد كما يزيد ويرجع ٭

ظافر الحداد

٭ والنيل مثل عمامة ٭ شرب محشاة باخضر ٭
٭ والجسر فيها كالطراز ٭ وموجه رقم مصور ٭
٭ لغرابه ما رجته ٭ للرياح من التكسر ٭

وقال يصف افتراقه عند راس الروضه

لله يوم اتاك النيل ٭ لحسنه حلة وتفصيل ٭
في منظر مشرف على خضر ٭ كانه في الظلام قنديل ٭
يبدي لنا جانبا جزيرته ٭ اشباهها للعين تاميل ٭
ورقمه جسره ونفر بكة الموج ٭ وفي نكته بالخليج تجميل ٭

ابن ساعاتي

Copyright © King Saud University